

قطعاناً).

اما الفئة الثانية فهي فئة انصاف الرحل، وهم يمارسون شيئاً من الزراعة ولكنهم يملكون قطعان كبيرة من الماشية ويعيشون في الخيام صيفاً فقط اما في الشتاء فيعيشون في القرى إذ ينحدرون من الاعالي إلى الوديان.

واما الفئة الثالثة، فهي فئة المزارعين الذين يعيشون صيفاً وشتاءً في قراهم مستقرين ويربون اغنامهم التي ترعى في المناطق المجاورة وعلى التلؤل المتاخمة اما في الشتاء فهي أي الاغنام تعيش في دور المزارعين (أي في حظائر تحميهم من شدة البرد وتقيهم من الحيوانات المفترسة).

ويرى ديكسون ان هذه الفئات الثلاث تختلف في خصائصها وعاداتها لكنها تشترك في ثلاثة من العوامل وهي الدين واللغة وحب السلاح (٣٦١-٢).

اما سون فقد كتب في العشائر الكردية ضمن مذكراته مركزاً على الجاف والهماوند، وقد اشرفنا الى ما ذكره سون عن التماسك الشديد بين ابناء عشيرة الجاف وولائهم الكبير الى رؤسائهم ويصفهم بولائهم أو اعترافهم خلال (٢٠٠) سنة الى السلطان العثماني سيداً أو خليفة وهم بذلك سنة أي على مذهب سلطانهم، وقد احتفظت هذه العشيرة بأكثر من شبه استقلال (٢٧٧).

ويذكر سون في الفترة التي عاشها في كردستان ان عشائر الجاف كانت تحت الاشراف المباشر لمحمود باشا وهو يصحبها شخصياً كل ربيع من قزلباط حتى بنجوين وسقز* اما اخوه الأكبر عثمان باشا، فعين على ما يبدو من قبل السلطان قائمقاماً على شهرور.

ومن الجدير بالذكر ان علاقات مصاهرة تمت بين باشوات الجاف القدامى والسلالة الاردلانية وهذه الاسرة كان لها دورها الكبير في خلق كيان كردي وصاهرت الاسرة الحاكمة في فارس وبلورت ادباً وفناً كرديين في مدينة سنه (٢٧٨).

ولا يمكن تجاهل نبرة الإعجاب في إنطباعات سون عن التأزر في عشيرة الجاف وقدرتها على التعايش وبعلاقات متبادلة حسنة.

ويصف سون عشائر الهماوند بالعشيرة الباسلة وهو كما يذكر طار اسمهم بين مواطنيهم وفاقت غزواتهم اوحش الغزوات الجسورة ويوصفون بالشجاعة امام المخاطر.

وقد لاحظهم سون في بعض المواقف التي تتطلب خلقاً قتالياً شريفاً فيذكر انهم جد صرحاء وجد شرفاء فقد رفضوا في احدى المواقف أي طعام قدم لهم من المسؤول (الافندي) لانهم

* قزلباط وبنجوين مدينتان في كردستان العراق، وسقز مدينة في كردستان إيران.

كانوا يتوقعون بان امراً سيصلهم للانقراض عليه ولذا لم يتناولوا طعامه ففي ذلك (خيانة الزاد والملح) وهي مسألة ضميرية تحمل قيمة عليا بيد ان سون لا يكتفم غضبه وحنقه على الهماوند على الرغم من اعترافه ان الهماوند تعاملوا مع النسوة تعامل (الجنتمان) عندما هاجموا في الطريق القوات التركية وقد ذكرنا ذلك في موقع آخر من هذا الكتاب. ويصف كيف ان مقاتلي هذه العشيرة تغلبت على الجنود الأتراك بشكل مضحك.

يذكر سون ان هذه العشيرة الكردية كانت قد نزحت من إيران وسكنوا عند قصر شيرين وحاول الفرس استمالتهم وتهدنتهم فمحوهم وظيفة حماية الحدود لقاء اجور ووافق على ذلك زعيمهم (جوان ميرخان) ولكنه لم يستكن بل زاد من غزواته حتى اضطرت الحكومة الفارسية القاء القبض عليه واعدمته وخلفه ابنه (حمه بك) وطالبت بهم الحكومة التركية ففرح لذلك الفرس خلاصاً منهم ولكن الترك لم يتحملوا اعمالهم فهي عشيرة دأبها القتال واضطرت الدولة العثمانية الى نفي فرع من هذه العشيرة الى شمال افريقية (ولاية طرابلس) ولكنهم عادوا بعد ذلك، وكما يذكر سون انهم كانوا يفخرون بانهم نهبوا العرب وسلبوهم شأنهم في ذلك شأن الأتراك وهم على طريق العودة راجعون لا بل (فارون من النفي) (٢٢٩). لقد كان الهماوند من الجرأة انهم يتجولون في كركوك بكل حرية بالرغم من ملاحقة القانون لهم.

ويعلل كارلتون كoon (١٩٥٥) الإستقلالية النسبية التي يتمتع بها القبائل الرحل، فهم يعيشون في أراضي اما جبلية أو صحراوية أو سهول خالية، وهذه مناطق يصعب فيها الامساك بهم، فضلاً عن انهم يربون الخيول وبإمكانهم تجنب القوات التآديبية بسرعة ويذكر كoon مثلاً على ذلك تشتت القوات الرومانية الغازية في الصحراء خلال محاولتهم غزو اليمن في حين كان اجداد الكرد يدحرجون الصخور من اعالي الجبال على قوات زينفون فأذقوهم شر العذاب ولم يستطع ان ينجو جيش زينفون من هذه المناطق الجبلية العصبية والكرد الأشداء الا بمرارة وبشكل اسطوري.

ويعزو كoon بأس وشكيمة هذه القبائل الى طبيعة الحياة أو اسلوب الحياة التي تعيشها القبائل الرحل فهي حياة حركة ونشاط وقمارين عضوية وطاعة وتلاحم مع القيادة أي مع رئيس القبيلة وتوقيت الاعمال القتالية ان اقتضت كما وان الجانب الغذائي يلعب دوره حيث اللحوم الجيدة ومشتقات الحليب تجعل منهم اقوياء غير هيايين حتى من الحيوانات الكاسرة مما يجعلهم بالتأكيد يتفوقون على رتل أو لواء من العسكر المؤلف من عدد من المسلحين أسلحة ضعيفة وهم غالباً مجموعة فلاحين مدربين تدريباً سريعاً (٢٥).

اما باسيل نيكيوتين* (١٩١٥-١٩١٨) فقد تبني رأي ميلنكن (العقد السادس من القرن

* ولد نيكيوتين عام ١٨٨٥ وكتب مقدمة كتاب في عام ١٩٤٣، وطبع الكتاب في ١٩٥٦ باللغة الفرنسية،=

التاسع عشر) في تفسير نشوء القبيلة، إذ يرى ان القبيلة عائلة اتسع نطاقها ويستشهد بقبيلة (الهركي) فقد كان جدها رجلاً يدعى (ابو بكر) اشتهر بشجاعته وكان بينه وبين احد الامراء واسمه زين الدين عداوة وبعد ان دارت معركة بينه وبين رجال الأمير قتل وشتت عشرين شخصاً من اتباع الأمير الذين كانوا قد نصبوا له كميناً. اخذ اسلحتهم وامتععتهم وحملها على بغلين وسار نحو خيمة الأمير فلجأ هذا الأمير الى الحيلة بعد ان اشاد بشجاعته وعرض عليه ان يتعايشا واطمأن هذا الى قول الأمير وما ان نام في الليل حتى اطبق عليه حراس الأمير واخذوه ليعدموه وقبل اعدامه خطف خنجراً وبسرعة فائقة من احد جلاديه وطعنه طعنة كانت من القوة بحيث اخترقت الجلاذ ونفذت الى جذع شجرة وعندما حاول ان يستل الخنجر خرج المقبض وحده وبقي الخنجر مغروزاً في الجلاذ والشجرة ولكن قبل اعدامه طلب ان يؤدي وصيته الأخيرة لاولاده وهي:

اولاً: لاثبتوا نصلاً في مقبض دون ان تسمروه.

ثانياً: ليتزوج كل منكم اربع نساء لتنمو ذريتكم وتتمكنوا من الاخذ بثأري.

ثالثاً: لاتصغوا ابداً الى الاقوال المعسولة التي تصدر عن افراد اسرة الأمير زين الدين.

وكان لهذا الرجل البطل اربعة اولاد، مندو وسيدو وسرحان ومشير وقد اصبح الثلاثة الأوّل على رأس الفروع الثلاثة في قبيلة الهركي (١٢٠-١٢١).

ان هذه القصة التي اوردها باسيل نيكيوتين عن ميلنكن مشال عن تكون القبيلة الكرديّة عن طريق تكاثر العائلة الواحدة، هذه القبيلة التي تعد اليوم من كبريات القبائل الكرديّة.

وقد شخص ميلنكن عوامل ديمومة وتوسع القبيلة أو عوامل تفسخها وانحلالها، فهو يرى ان القبيلة بحاجة الى زعيم شجاع بارع لكي تنمو ويجمع شملها اما انحلالها فمرهون بفقدان الزعيم أو الوباء أو الجوع.

والحقيقة فإن باسيل نيكيوتين فضلاً عن عرضه لرأي ميلنكن فانه يتحدث عن تكوين القبيلة الكرديّة ويبدو ان ملاحظات باسيل نيكيوتين في هذا المجال كانت منصبة على اكراد تركيا إذ يذكر ان القبيلة الواحدة من قبائل كردستان تركيا تتألف من عائلة رئيسية هي عائلة الزعيم ثم تليها مجموعة من العائلات التي تمت بصلة القرابة اليها، على درجات متفاوتة ولكل عائلة خيمة فاذا اريد احصاء عدد عوائل القبيلة الواحدة فيمكن ذلك من خلال احصاء عدد الخيم وبالرغم من هذا الجزم فان باسيل نيكيوتين يضعنا امام احتمال تزايد أو تقلص اعداد العوائل أو اعداد الافراد في القبيلة الواحدة تبعاً للظروف التي تمر بها القبيلة إذ يذكرنا

= وكان قد عاش في كردستان في الفترة ١٩١٥-١٩١٨.

بوجود الإنتباه الى ان قبائل كُردستان تتشكل من عنصرين متميزين احدهما دائم والثاني متأرجح، اما العنصر الدائم فهو تلك النواة من العائلات التي تمت بالقرابة الى زعيم القبيلة واما العنصر المتأرجح فلأخرج عن كونه مجموعة من المغامرين والمتشردين الذين ينضمون تارة الى هذه القبيلة وتارة الى تلك وبذلك يكون من المستحيل ان تحكم على العدد الحقيقي لقوام قبيلة ما (١١٧).

ان ما ذهب اليه باسيل نيكيوتين مذهب صائب تماماً، فبالرغم من انحسار وضعف النظام القبلي في المجتمع الكردي اليوم قياساً بما كان عليه قبل مئة عام أو أكثر نجد العديد من الاشخاص ممن ينسبون انفسهم الى هذه القبيلة أو تلك، ان هذا الانتساب ممكن ان نلاحظه من خلال الالتحاق الحقيقي لشخص ما أو عدة اشخاص بالقبيلة أو العشيرة الفلانية ويعايشونها فعلياً ويمكن ان نلاحظ في حياتنا المدنية أي داخل المدينة وما من شيء اسهل من ذلك فقد يفاجئك احدهم وقد لقب نفسه بعشيرة ما بمجرد اضافة اسم هذه العشيرة أو تلك الى اسمه، وعادة تكون العشيرة منتقاة لأسباب تمثل مصلحة شخصية للمنتسب.

ان هذه الظاهرة لا تقتصر على الكرد حسب بل وجدناها قائمة لدى العرب ايضاً والأساس كما ذكرنا ابتغاء مصلحة خاصة.

يشير باسيل نيكيوتين الى دراسة قام بها هلموت كريستوف وقد صنف القبائل الكردية في اربعة اتمودجات*، والحقيقة لم يشعر مؤلف هذا الكتاب بصفته احد ابناء الشعب الكردي وقبله المنبت بدقة ما ذهب اليه كريستوف في نمذجته للمجتمع القبلي في كُردستان (٥٥)، ففي وصفه لهذه النماذج يشعر القاريء بشيء من المغالاة فضلاً عن اهمال هذا الباحث العامل السياسي المسؤول عن كل ضروب القتال والعنف الصادر من القبائل العائشة في المناطق الحدودية. ان كريستوف لم يسأل نفسه لماذا الحدود؟ والحدود بين من ومن؟ لماذا الحدود تخترق الارض الكردية فتحيل ابناء العمومة (أجانباً) واحدهم بازاء الآخر ومن يستفز من؟ ومن المعتدي الغاضب ومن المعتدى عليه في عقر داره؟ لا يريد الكردي ان يكون معتدياً بل يريد ان يكون مدافعاً. ويخطيء كريستوف -من وجهة نظرنا- عندما يذكر ان معظم الأكراد الذين تتشكل منهم المدن الكردية يعود اصلهم إلى هذه الفئة أي الفئة التي تعيش على الحدود إذ لا يوجد ما يثبت هذا الرأي ثم انه يعتقد (او يخطيء ثانية) عندما يرى في سكان المدن إبتعاد عن الخصائص الكردية والصراع مع العدو فقد إلى حد كبير اهميته وحب التسلط والشجاعة قد هبطاً إلى ادنى مستوى ليحل محلها الجمود واللامبالاة وكما ان زوال نظام القبيلة الصارم

* أتمودجات كريستوف للكُرد: (١) رعاة المواشي في الهضبة التركية. (٢) رعاة المواشي في منحدر طوروس. (٣) الأكراد المحاربون عند مناطق الحدود. (٤) الأكراد أنصاف البدو.

قد ابرز كل ما في النفوس من ميل إلى الطمع فان السلطة السياسية قد قتلت في هذه النفوس حب الحرية. هكذا ينهي كريستوف تنظيره الذي نراه مجانياً للحقيقة ما عدا ان ابناء المدن عادة اقل ضراوة أو خشونة من ابناء القبائل وهذا ليس في كُردستان بل في كل العالم، وقد ذكر ذلك.

ان الصراع مع العدو لم يفتقد في المدن بل انجبت المدن الكُردية، جمعيات واحزاب وحركات سياسية وتنظيمات نسقت مع ابناء العشائر وكانت المحصلة، حركات قومية مسلحة ولم تدخر المدن الكُردية جهداً في سبيل الحرية، لكن الكُرد من تجاربهم عرفوا ان من الخطأ جعل المدينة ساحة معركة وحتى إذ بقيت المدينة ترفع علم الخضم يبقى دورها كبيراً للحركة المسلحة من الناحية اللوجستية وان الحركات الكُردية تنجح عسكرياً عندما تكون خارج المدن لا في داخلها.

يرسم لنا باسيل نيكيتين صورة قلمية لحياة القبائل الكُردية الرحل، هي من اجمل الصور إذ ما ان ينتهي الشتاء حتى تلاحق القبيلة مواطن العشب لاغنامها وهي ترتفع رويداً رويداً الى الاعالي والمرتفعات ويبدو ان هذا الارتفاع يحدده ذوبان الثلج الذي يبدأ مبكراً في المناطق الواطئة ليخلف مكانه مرعى ثم لايلبث ان يجف فتترك القبيلة المنطقة الى منطقة اعلى خلف الثلج الذائب فيها توالى مرعى جديد وفي الحريف تكون القبيلة في طريق العودة، إذ يضطرهم المطر والثلج المتساقط الى طلب السهول حيث يكون الكلاً قد عاد ينمو وكذلك يمكن الحصول على العلف من القرى.

النساء يتحدثن في طريق العودة عن مقادير الزبدة والجبن التي اعدنها والرعاة يتشوقون لقبض اجورهم ورجال القبيلة يتحدثون عن شراء القمح والشعير ذلك لانهم لايمارسون الزراعة، ونسوة اخريات يتحدثن متباهيات بالحاجات التي اشترينها من الباعة المتجولين ويتهامس الشبان والشابات بالاسرار. فلان اختار فلانة خطيبة له، وتلك الفتاة رضيت بذلك الفتى.

وتتسامر القبيلة في الليالي المقمرة يتذكرون الاماكن التي يرتادونها والينابيع الصافية التي استقوا منها المياه العذبة محاطين بالزهور والاعشاب الجبلية (٣٩-٤٠).

ولاينسى باسيل نيكيتين ان يذكرنا بالقلق الذي ينتاب المزارعين اثناء مرور القبيلة المهاجرة بالقرب من قراهم، إذ يلزم الفلاحون بيوتهم بعد ان يحكموا اغلاق ابوابها وينصرف رجال مسلحون الى التمرکز في نقاط استراتيجية عالية تحيط بالمنازل لحمايتها وبين أن وآخر تدوي طلقات الرصاص هنا وهناك (٣٣) وهذا ما اشرنا اليه من خلال (ديكسون) أنفاً ضمن هذا الفصل، ويصف نيكيتين الاثاث والاحمال التي تنقلها القبيلة معها وهي ادوات وافرشة تتسم بالبساطة وهناك من القبائل التي لاكتفي بتحميل البغال بل تحمل الثيران ايضاً.

ويعرض باسيل نيكييتين في دراسته للكرد ان القبائل الكُردية محبة للغناء. انه يعتمد على (بلو) في هذا الرأي، فقد وجد الأخير والذي تعمق في دراسة كُردستان في مناطقها الشمالية الشرقية ان اشد القبائل الكُردية بؤساً غنية في اغانيها والحانها (١٣٢-١٣٣).

يرى إدموندز (الربع الأول من القرن العشرين) ان هناك من الأسباب العملية التي تجعل الفرد على قناعة تامة بان المجتمع الكُردى خارج المدن هو مجتمع قبلي اصلاً وفضلاً.

ويذكر إدموندز في معرض التدليل على فكرته ان القبيلة مقسمة الى بطون والبطون الى افخاذ وأحياناً تدعي قبيلة كاملة انحدارها من خط رجل واحد هو جدها الاعلى والواحد وأحياناً يقصر الادعاء على بطن أو فخذ وينزل أحياناً لينحصر في الاسرة التي تحكم القبيلة.

وكذلك يشير إدموندز الى ان القبيلة تغلب عليها صفة الوحدة السياسية أو الجغرافية وبسط مظاهر النظام القبلي في كُردستان من وجهة نظر إدموندز يتجلى عند الكُرد الرحل النازحين دائماً الساكنين طول السنة في خيم من نسيج شعر الماعز يرحلون بقطعانهم وفقاً للفصول متنقلين بين السهول والمناطق الجبلية.

ولا يخفي إدموندز إعجابه بالمنظر المهيب الرائع لمسيرة القبيلة سواء في ذهابها الى الاعالي أو ايابها الى السهول. ان وصف إدموندز يقترب من وصف باسيل نيكييتين الذي مر ذكره في هذا الصدد.

يصف إدموندز هؤلاء الكُرد وهم يسوقون امامهم الآفاً من الاغنام والماعز وحميرهم ويغالهم مثقلة بخيمهم وقدورهم واكياس قمحهم واثاث بيوتهم ونسائهم، واناس منهم بلغوا اراذل العمر كرروا هذه الرحلة أكثر من مائة وخمسين مرة بمعدل مرتين في العام الواحد.

نساء في مقتبل العمر ضاحكات مليئات بحيوية الشباب بينهن من تحمل بندقية.

اطفال رضع يخرجون رؤوسهم من الجوالق فوق سروج البغال يشاطرهم مجلسهم المريح الحملان المولودة في الطريق... كلهم في حركة دائبة يقطعون الشعاب ويعبرون المضائق الجبلية والمسالك الوعرة في رتل ما له نهاية (١٦).

وينتهي إدموندز هذه اللوحة الرائعة وهو يذكر ان معظم القبائل الكُردية راحت تستقر في القرى وتمارس الزراعة (١٧).

وهنا لا بد من الاشارة الى ظاهرة أو حالة يمكن ان نسميها انتقالية فالتحول هو ليس بالتحول السريع المفاجيء كما يتصوره القاريء لدى قراءته لإدموندز. إذ من القبائل التي مزجت بين الارتحال والزراعة فهي تمارس الزراعة في موسم الشتاء وما ان ينتهي موسم الحصاد حتى ترحل العشيرة باغنامها الى المناطق الجبلية التي تكثر فيها المراعي بعد ان خزنت ما

يكفي اغنامها وسوامها من تبن وعلف لفصل الشتاء. ومثل هذه العشيرة المتوسطة لرحلتي البداوة والإستقرار الريفي تجدها قد تخلت عن الخيم (بيوت الشعر) واثرت السقائف التي تشيدها من الاعمدة باغصان الشجر في المناطق المرتفعة اما في الشتاء فتسكن في بيوت من طين ومع هذا فان الخط البياني للحياة القبلية يشير الى هبوط ملحوظ وتناقص مستمر في الحياة القبلية وتفضل الإستقرار الزراعي الريفي، الى الحد الذي يمكن ان نقول ان نمط الحياة القبلية في كُردستان قد انتهى على مدى الربع الأخير من القرن العشرين.

يحدثنا إدموندز ان مدينة حلبجه وهي من املاك زعماء الجاف الكبار وتسعة اعشار أراضي القضاء أو يزيد هي أراضي ممنوحة بالطابو لمختلف اعضاء الاسرة الحاكمة، وهو يعتقد ان ثلاثة ارباع سكانها من قبائل الجاف (١٢٩-١٣٠).

ان إدموندز يصف الجاف انهم من الأكراد الخالص الاقحاح ويمثلون اعظم قبيلة في جنوب كُردستان وكثيراً ما يشار اليهم بكلمة كورد فحسب لتدل على معنى مقتصر عليهم خاص بهم يميزهم عن غيرهم القبائل والريفيين الذين لاينتسبون الى قبيلة وان لهم ان يفخروا بعراقة اصلهم كما درجت عليه القبائل الكُردية العامة (١٣٠).

نعتقد ان ما ذهب اليه إدموندز هنا ليس بحديث سطحي بل له عمقه الدراسي فقد امتلك إدموندز حساً استقصائياً ونزعة علمية مما جعله من بعد ان يصبح أستاذاً متخصصاً بالعلوم الشرقية لا بل الكُردية بالذات، وما قاله إدموندز بحق عشيرة الجاف كاف للرد على بعض المحاولات الساذجة المكتوبة أو المحكية التي ارادت أو حاولت ان تجرد الجاف من كرديتهم والجاف انفسهم غير قابلين الا بكرديتهم. ان هذه المحاولات لم تقتصر على الجاف وحدهم بل امتدت الى غيرهم من القبائل وهي محاولات مؤسفة حقاً، لان القومية شعور قبل كل شيء ثم هي لغة وجغرافية وهذه الابعاد الثلاثة متحققة في هذه القبائل هذا من جهة ومن جهة أخرى لا نعتقد ان الأمة العربية ستستقيم امورها وتحقق أهدافها الاستراتيجية اذا ما ضمت الى ملايينها هذه القبيلة الكُردية أو تلك، ونحن على ثقة تامة ان القومي العربي الموضوعي في إخلاصه لاماني امته، لم ولن يشوه أو يغير الحقائق التاريخية أو مساراتها.

لقد حاول إدموندز ان يجري تتبعاً سلالياً للأسرة الحاكمة لقبيلة الجاف مستعيناً بملاحظاته الشخصية ومذكراته التي كان يدونها وبعض المصادر التي يصفها بانها (لا تتيسر دائماً).

ان وجهة نظره أي إدموندز ان كثيراً من الأسر الحاكمة في القبائل الكُردية درجت على ادعاء انتسابها الى سلالة نبوية (١٣٤)، والحقيقة يمكن ان نجد هذه الظاهرة (الانتسابية) لا في كُردستان حسب، بل في كل بلاد الشرق تشرفاً بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وتعزيراً للنفوذ القبلي الذي هو نفوذ دنيوي ليصبح اقوى وامضى عندما يتعزز بنفوذ روحي.

ان إنطباعات إدموندز عن الجاف انهم نموذج من القبيلة الكرديّة ذات الطابع القديم لها أسرة ارستقراطية حاكمة من جهة، ولها من جهة أخرى عدد من البطون من الطبقة الفلاحية وكل بطن مجزأ الى عشائر وكل عشيرة فلاحية لها رئيس يدعى (كويخا) وبعض هذه العشائر استوطنت من زمن بعيد واصبحوا مزارعين اما بعضها الآخر فيغلب عليها طابع البداوة، ويذكر إدموندز ان الإستقرار زاد شيئاً فشيئاً ولكن العوامل ظلت ولم تتغير على حد قوله ويأتي إدموندز بمثال على ذلك: رجل يخسر قطعان ماشيته بسبب آفة طبيعية أو حرب عشائرية أو لاجراء حكومي معين فيضطر الى التحول الى الارض ليقوم اوده بالزراعة ولكن ما ان يقبل عليه الحظ -وان اقتضاه الكدح عدة سنين- حتى يقرر العودة الى حياة البداوة (١٣٤).

ويقترح إدموندز لا بل يؤمن ان أكبر عامل للإستقرار في الارض هو تدخل الادارة في العادات التقليدية القديمة.

ينتقل إدموندز في موقع آخر من مذكراته الى موقع قبلي آخر، وهو بشدر، يقول اذا كان قد وصف الجاف كونهم (اهم) قبيلة في جنوب كردستان فانه لم يشأ ان يقول عنها انها (اقوى) قبيلة، فهو يرى ان (الاقوى) أكثر انطباقاً على بشدر (١٩٨)، والحقيقة فان هذا هو رأي إدموندز لاننا لا نعرف ما هي المعايير التي يمكن ان تعتمد في استنتاج (الاقوى) من القبائل هل هي العدة أم العتاد أم هي شدة استبسال الفرد القبلي.

المهم ان إدموندز يضعنا امام قبيلة كردية أخرى حظيت باهتمامه وتعامل معها ايضاً.

ان بشدر اسم جغرافي وليس اسم قبيلة، اما اسم القبيلة فهو (نورالديني) ولقب اسرتها الحاكمة المتوارثة (ميراودلي) واغوات الميراودلي يبسطون سلطانهم على القبيلة بشكل مطلق لا ينازعهم فيه منازع وكانوا كثيري النسل، والسنوات السابقة على العام ١٩١٨ كانت عهد توسع سريع في تركيز وكلاتهم وفي منطقة واسعة من القرى التي لم يملكوا فيها شبراً من حقوق الملكية، لذا يرى إدموندز ان هذه القبيلة تستحق الدراسة كنموذج لقبيلة كبيرة في مرحلة معينة من التطور السياسي والإجتماعي (١٩٨).

والحقيقة فان قصة لطيفة ترتبط في الحديث عن منشأ الميراودلي هذه القصة رواها بابكر آغا زعيم القبيلة الى إدموندز فهم أي الميراودلي يفيدون انهم من ذرية البابين وانحدروا من جداهم الاعلى (فقي أحمد دارشمانه).

لقد عاش في قرية (مركه) اخوان هما (كاكه مير وكاكه شيخ) وقد قتل كلاهما ولما كانت ارملة كاكه مير حبلى فقد هربت الى (خدران) الواقعة في ناحية (جناران) وهناك ولدت طفلها

أحمد ثم انتقلا الى دارشمانه التي تبعد سبعة اميال شرق قلعة دزه ونشأ فقي أحمد رجلاً ذا بأس شديد وعلم ومعرفة وفي معارك المسلمين ضد الكفار تمكن في وقعة واحدة من دحر (كيغان) الاميرة المحاربة الشجاعة بنت اميراطور الافرنج التي لم ينتصر عليها فارس مسلم من قبل فأسرهما وعاد بها الى موطنه عودة الظافر المنتصر، الا ان اسداً هاجمه في الطريق وتمكنت كيغان من الفرار. وبعد ان شفي فقي أحمد من جراحه خرج يطلب اسيرته من جديد وكانت كيغان قد اغرمت واعجبت بذلك الرجل الاوحد الذي استطاع قهرها في مبارزة فراقته مختارة الى بيت في دارشمانه وولدت له ثلاثة ابناء هم (بابا سليمان) عميد الاسرة البابانية و(خان بداخ) عميد اسرة ميراوذلي والثالث كان جد اسرة موكري الحاكمة، ويقال أحياناً ان كاكه مير هو سليل صلاح الدين الايوبي وان الاسرة الايوبية نزلت اولاً من سوريا الى جزيرة ابن عمر قبل ان تستقر في مركه لقد استقر ميراوذلي في قرية نور الدين القريبة من قلعة دزه (١٩٩).

الحقيقة ان هذه القصة اللطيفة والتي لانشك ان لها جذراً من الحقيقة وان اسيع عليها طابعاً درامياً جميلاً تضعنا هي وشواهد أخرى ومن مصادر أخرى امام حقائق ربما وفقنا الله في الكتابة عنها مستقبلاً عن المنايا الحقيقية لاسرة بابان التي اسست إمارة بابان وكذلك اسرة الميراوذلي التي قادت واحدة من كبريات القبائل الكُردية المحاربة وكانت مثلما كان الجاف عموداً أساسياً في كيان الإمارة البابانية والدفاع عنها. إذ كان حسبما ذكره (كليمان)* اثناء تجواله في كُردستان عام ١٨٥٦ ان كبير الميراوذلي بابكر آغا الابن الأكبر له حمه آغا الملقب بـ(كوره = الكبير) كان بإمكانه آنذاك تجريد أكثر من الفتي مسلح.

ويتحدث إدموندز عن مشكلة الولاءات في هذه القبيلة وانحاء المنطقة بين مؤيد صديق لبريطانيا ومؤيد متعاون مع الدولة العثمانية ورجالها الذين اخذوا سراً يتصلون بالمناوئين الى وجود الحكام السياسيين البريطانيين في كُردستان (٢٠٨).

وبلاشك فان الاقتراب أو الابتعاد من الشيخ محمود كان معياراً أساسياً للتعرف على إتجاهات الفرد أو القبيلة من منظور بريطاني، بالرغم من ان بريطانيا في مرحلة من تواجد رجالها لا بل قواتها في كُردستان (جاملت) واغرت الشيخ محمود لكنها للأسف كانت لاتظهر ما تضرر وقد تحدثنا عن ذلك في الفصل الخاص بالأوضاع السياسية.

يحدثنا إدموندز عن الهماوند وقد سبق وان تحدث عنهم سون وريج ولايد من ان يتحدث عنهم كل زائر أو رحالة لما اتصفوا به من شجاعة وحب للقتال، فيذكر ان هذه القبيلة تسكن كلاً من ناحيتي مركز جمجمال وبازيان* وهؤلاء وان كانوا من اصغر القبائل الكُردية الجنوبية * جمجمال وبازيان ناحيتان تقعان بين المدينتين الكرديتين كركوك والسليمانية.

ولكنهم اشهر قبيلة مقاتلة حتى العام ١٩٢٢ (٤٢).

ويقال انهم قدموا من إيران في مطلع القرن الثامن عشر وقد آزرُوا امراء بابان في السلطانية وقاتلوا الترك.

استطاع الأتراك نفي نصف القبيلة الى شمال افريقيا (طرابلس) ونفوا النصف الثاني الى (اطنه) في تركيا وكلا من الموقعين يبعدان زهاء (٥٠٠) ميل بخط مستقيم عن موقعهم في بازيان (٤٣).

يذكر إدموندز بإعجاب عودة المنفيين المحاربين بزوجاتهم واطفالهم من شمال افريقيا الى بازيان بعد سبع سنوات من النفي ويصف هذه العودة انها ملحمة من اروع الملاحم وأكبرها في تاريخ الكُرد القبلي، وحذا منفيو (اطنه) حذو اخوانهم فشقوا طريقهم وحدهم دون ذويهم لكن الحكومة التركية وافقت على اعادة زوجاتهم واطفالهم الى ديارهم تخلصاً من المتاعب (٤٤).

ويذكر إدموندز ان كلاً من كليمان وبريزيوفسكي يشهدان بصيت الهماوند في اعمال الشقاوة، لقد زار الأول كُردستان في ١٨٥٣ والثاني في ١٨٦٩، عشيرة الهماوند فيصف الأول الهماوند انهم اهم قبيلة كردية تسكن المنطقة وهي اقوى كل القبائل واشهرها في البسالة والجرأة على الغزو والثورة الدائمة.

اما الثاني فيصفهم بانهم ينشرون الفزع والهول في سائر المنطقة الممتدة الى ما وراء كركوك وأربيل (٤٦).

ان مينورسكي (العقدين الأولين من القرن العشرين) إنطباعات عن الحياة القبلية في كُردستان فقد لاحظ وبالاخص في المناطق التي زارها وهي المناطق الشمالية الغربية من كُردستان إيران. ان المجتمع الكُردى ينقسم الى مجتمع رحالة وحضر وان عدداً من القبائل الرحالة قد تحولت الى نمط يتوسط حياة البداوة والتحضر فتجدهم يسكنون بيوتاً من الطين شتاءً ولهم مزارعهم وعندما يغادرون الى المرتفعات في أوائل الصيف يتركون بعض رجالهم لحراسة بيوتهم ومزرعاتهم (٣٣).

ومن ملاحظات مينورسكي عن القبائل الكُردية ان القبيلة الكُردية تحافظ على التقاليد العامة وهي بذلك تكون قريبة الشبه من قبائل بعيدة عنها كعشيرة الجاف، كما وقد لاحظ ان هذه القبائل المرتحلة ترحل في النهار وتنام في الليل في محطات معينة حتى تحط رحالها في الجبال (٣٤).

ويذكر مينورسكي شيئاً عن الثنائية التي ذكرها الآخرون من المستشرقين والرحالة فتجد في المجتمع الكُردى المحارب والمزارع وسطوة المحاربين واضحة على سواهم من ابناء المجتمع

الكُردي. إذ يذكر بهذا الصدد ان العشيرة في كُردستان تتكون من طبقتين الأولى (المقاتلون) وهم الرؤساء (الآغا) واصحاب الأراضي وخدمهم والثانية الرعية (المزارعون) ويبدون كنصف عبيد ارض (٣٤).

يحلل مينورسكي وضع المجتمع الكُردي في المدة التي عايش المنطقة وكتب عنها فيذكر، ان للاكرد شعورهم القوي جداً نحو العائلة والقبيلة وهو اقوى من شعورهم نحو الإنسانية أو الاخوة المبنية على الدين أو الشعور القومي الواسع.

لذا نجد مينورسكي يجيب بنفسه على سؤال له، وهو على من يعتمد الاكرد الذين يعيشون عملياً بين دولتين ضعيفتين، الدولة الفارسية والدولة التركية؟ ويجب ان التماسك القبلي هو المسؤول عن بقائهم ومن سمات الحياة القبلية التماسك والتعاون طبعاً، والرجل الواحد وكذلك العائلة الواحدة لا يستطيع ان يناضل في سبيل البقاء الا في نطاق القبيلة، ومن هنا تأتي نزعة عبادة الفرد لقبيلته ونزعتة لاخذ الثأر.

ويعلق مينورسكي على كل ما ذكر ان الكُرد دافعوا عن قبائلهم برجولة خارقة لا حدود لها (٦٤).

ان المشاعر القبلية وما يصاحبها من النضال من الامور النفسية التي لاحظها بعض الرحالة والمستشرقين في كُردستان فعلى سبيل المثال يذكر سون ان الكُردي عندما يسأل عن قبيلته التي ينتمي اليها فانه (ينتفخ) على غرار ما يجب ان يفعله كل من ينتمي الى قبيلة عظيمة قوية.

اما ويگرام فقد وصف (في العقد الأول من القرن العشرين) كُردستان (ببلاد العشائر) وهو يصف العشائر بالسطو ولكننا نستطيع ان نلتمس شيئاً من المغالاة في حديث ويگرام، فقد زار كُردستان رحالة ومبشرون قبله، ونحن لا ننكر حالات من السطو تحدث هنا وهناك ولكن كما يظهر فان السطو كان مركزاً على القوات الحكومية أكثر من ان يكون على اهل منطقة ما الا في حالات السطو الفردي وهذا امر يمكن ان نلاحظه حتى في يومنا هذا وحتى في أكثر الاقطار تحضراً.

ومما يدل على ما ذهبنا اليه ان جيمس كريج الذي كان قد زار كُردستان وجاب في مجاهل شعابها وجبالها في كُردستان الشمالية والجنوبية في العقد السابع من القرن الثامن عشر، يسوق لنا هذه القصة، ولا ينسى ان القبائل الكُردية احاطته بالود وحسن الضيافة، وهو شخص بريطاني. يذكر ان المستر ابوت القنصل البريطاني في ارزروم الذي كان مسافراً من بايزيد إلى ارزروم× هجمت عليه مجموعة كردية بالقرب من قرية اسمها ديدان في الطريق المباشر المؤدي

إلى تبرز وكان القنصل شخصاً صارماً لا يعرف حتى المزاح فما كان منه الا ان اطلق رصاصه من مسدسه على اول كردي اقترب منه، ولكن لحسن الحظ فان الرصاصة لم تصب فما كان من الكردي الا وهجم برمحه على القنصل وانزله عن جواده ونزعت عن الموظف (الدبلوماسي) ملابسه كلها بينما كان حراسه من الأرمن والترك يقفون مشاهدين دون تدخل واخذت كل الخيول والامتعة ومن ثم نزعت عن الجماعة كل ملابسهم ايضاً وكان ممثل الأمة التي لاتغيب الشمس عن عملها (يقصد بريطانيا العظمى) قد اخذ يستجدي ثوباً وسروالاً لكي يستر بهما عورته (١٨٢).

ونعتقد ان هذه الجماعة الكردية تقصدت الهجوم بعد ان عرفت السمة الرسمية لهذا الشخص وحراسه من (الأرمن والترك).

ان المستر جيمس كريج يعلق على هذه القصة بشيء من روح النكتة. فقد كان من واجب والي المنطقة القاء القبض ومعاينة الجناة الذين كانوا بدورهم يسخرون ويستتهزون من ذلك، فمن اين للوالي ان يتعرفهم ويلقي القبض عليهم في هذه المنطقة العصية (١٨٢-٣).

اننا نعتقد ان الحراس الأرمن والترك والصفة الرسمية للقنصل البريطاني هذه العوامل مجتمعة اسالت لعاب الكردي أكثر من كون الموضوع (سلب وحصول على غنائم) والا لماذا يطري جيمس كريج البريطاني على حسن ضيافة القبائل الكردية له في نفس منطقة القصة التي اوردها كريج؟

ان ما يعزز إعتقادنا في هذا المجال قصة جوبر مبعوث نابليون إلى الشاه الإيراني (١٨٠٥-١٨٠٦) الذي اشاد اشادة كبيرة بحب الكردي لاستضافة الغريب وخدمته وقد ذكرنا ذلك في فصل الضيافة من هذا الكتاب ومع هذا فان جوبر وقع في اسر احد رؤساء القبائل الكردية حتى تسنى له الفرار من اسره.

نرى ان رئيس القبيلة قد عرف هوية هذا الرجل الفرنسي وبلاشك لم تكن هذه القبيلة على علاقة طيبة (بالحكومة) فأعطت لنفسها كل الحق في القاء القبض على ما له صلة بالحكومة. سواء كانت الحكومة تركية أو فارسية أو ما يبعث اليهما من ممثلين أجنب. ان جيمس كريج يروي لنا قصة هروب جوبر في مذكراته (١٩٢-٣).

وتعزيراً لما تقدم نعود إلى سون الذي ذكر مشاهدته لاحدى حالات السطو التي قامت بها عشيرة الهماوند ولكن على من؟ على قافلة تضم رتلاً عسكرياً وجرى السطو على الرتل العسكري وحتى نسوة الضباط اللواتي رافقن الرتل فتشن من قبل نسوة هماوند وليس من قبل الرجال الهماوند، إحتراماً للقيم القتالية.

اما ويگرام الذي جاء ذكره قبلاً لم يميز بين اعمال السطو والاثارات التي كانت محتمدة بين بعض القبائل وبين المسلمين والمسيحيين فالمنطقة كان يجول فيها، منطقة متأزمة وقد ذكر ويگرام ذلك من بعد.

ويعلق ويگرام على مسألة بقدر ما هي مهمة فهي طريفة ايضاً، فقد لاحظ ان الكردي وإن كان من اعنى الشقاة، يفكر ملياً قبل ان يضغط زناد بندقيته نحو قافلة تسير تحت حماية قبعة اوربية. ان ويگرام يذكر ان رجال العشائر وجدوا بالتجربة انه تثار ضجة حتماً عندما يتعرض الاوربي الى أي اذى، إذ يظل سفيره ينخس في جنب الحكومة نخساً حتى تقوم بارسال حملة، أي الحكومة التركية تعد حملة بتأثير من سفير دولة اوربية وقع اعتداء على احد رعاياها في كردستان، فيزحف رتل عظيم من الجيش الى داخل البلاد (كردستان) ليعيش مجاناً على القرى وليعتقل عدداً من الناس الذين لا دخل لهم في المسألة على الاغلب ولذا يكون الجانب الحقيقي آخر المتضررين الا انه يكسب عداءاً وكرهاً عظيمين لتسببه في مثل هذا العمل للمنطقة؟

ان من أكثر القبائل التي استحوذت إهتمام ويگرام هي قبيلة الهركية. إذ يذكر ويگرام ان هناك اساطير واخباراً تنسج حول هذه العشيرة التي يصفها بالبدوية الشرسة، انها كانت تدين بالنصرانية عندما اتخذ اساقفة البدو من الخيم كنائس لإقامة القداس الالهي كأتباعها النساطرة الكردي، ويستطرد ويگرام في ذكره للاصل النصراني للهركية وقدمهم في هذه الديانة حملهم رأس القديس (جرجيوس) احد شهداء النصرانية الاسطوريين في الشرق على صدورهم وإعتبره حرز عشيرتهم الأقدس ويكون اما عند زعيم العشيرة الأكبر أو عند رجل دين (ملا) عظيم الكرامة في العشيرة وويگرام ينهي كلامه هذا بانه قد نقل الاقوال التي سمعها من كهنة النساطرة الطاعنين في السن لا غير (١٥٢).

والحقيقة فان تعليقتنا على ما ذهب اليه ويگرام واستناده على اقوال كهنة طاعنين في السن لا يغير من حقيقة تاريخية نحن الكردي نعرفها دون حاجة الى كهنة، فماذا كانت ديانة الكردي قبل الاسلام؟ لا الهركية فقط، بل كل الشعب الكردي قبل الاسلام؟ لقد كانوا اما على الديانة الزرادشتية أو على الديانة المسيحية حتى الفتح الاسلامي فدخل الأكراد في الاسلام تدريجياً وليس كما يطيب لبعض المصادر ان تذكر أو بعض انصاف المثقفين الدينيين وليس الراسخين في العلم، ان الكردي دخلوا الاسلام دفعة واحدة ودون جدل أو دون مقاومة.

ان التاريخ يحدثنا من خلال ما كتبه كبار المؤرخين الاسلاميين عن دخول الكردي في الديانة الاسلامية على دفعات وازمنة مختلفة وارتداد بعضهم عن الاسلام مثلما ارتدت بعض المجموعات العربية عن الاسلام ثم عادت فدخلت، فلماذا العجب ولماذا نعتقد ان الكردي دخلوا

دخلة واحدة وكأنهم في ليلة وضحاها ناموا غير مسلمين ونهضوا صباحاً مسلمين ان المسألة ليست كذلك فهناك من دخل الاسلام سريعاً وهناك من دخل الاسلام بطيئاً وهناك من ارتد عن الاسلام وبقي مرتداً وهناك من ارتد عن الاسلام ثم عاد اليه وهكذا، وهذا امر يصعب متابعته ولكنه غير مستحيل لو كانت الاقلام حرة في نسج تاريخها، ان هذه الامور المذكورة في امهات الكتب التاريخية الاسلامية كالطبري والمسعودي والبلاذري وابن خلدون وغيرهم. لذا ليس عجيبياً ان نرى قبيلة ما دخلت الاسلام متأخرة أو احتفظت بشيء من تراثها الديني السابق فنحن الكرّد المسلمون على الرغم من اسلامنا لم نتخل عن كل اشكال حياتنا التي كنا نمارسها مع من لم يدخل الاسلام من الكرّد كاليزيدية فما عدا التعاليم الدينية نحن وهم أي اليزيدية شعب واحد لغة وتراثاً وعادات وتقاليد وامنيات سياسية، لا بل وبطولات ملحمية في التاريخ القومي النضالي الكرّدي، والكرّدية قومية يمكن ان تضم بين دفتيها المسلم والمسيحي واليزيدي والمؤمن جداً والعلماني جداً شأنها في ذلك شأن القوميات الأخرى.

وعلى الرغم مما لعبته الدولة العثمانية من فعل شائن في تأليب الكرّد على الكرّد مستخدمة الدين ورقة دامية والدين براء من دولة جعل السلطان فيها نفسه ظلاً لله على الارض ولكنه كان وراء مئات المذابح يقف منتشياً بشلالات الدم بين عنصر وعنصر ودين ودين ومذهب ومذهب، وحاشا لله ان يقبل.

ويصف ويكرام حالة القروين في القرى التي تقع على طريق الهركية وهم في طريقهم الى المرتفعات أو عند عودتهم فيها الى المناطق السهلية إذ يذكر ان القروين يتأهبون بسلاحهم يقظين لا يغمض لهم جفن حتى يزول الخطر عنهم ويجمعون اغنامهم في حظائر قريبة منهم ولا يتركون امرأة الا واغلقوا الابواب ولا ترتفع ايديهم عن زناد بنادقهم وقد يصل بهم القلق والتوتر الى حد اطلاق النار على القريب قبل ان يسأل عن غرضه* (١٤٩).

* لقد لاحظ المؤلف تقارباً في بعض المواقف لا بل تشابهاً كبيراً بين ويكرام وديكسون الذي مر ذكره، فإن وصف ويكرام لمرور الهركية عبر قرى أو حقول المزارعين يشبه وصف ديكسون، وكلاهما إختار عشيرة الهركي، والى هنا فإن الأمر غير مجلب للإلتباه كثيراً إلا أن قصة الراعي الهركي الذي أريد أخذ صورة فوتوغرافية له وطلب منه الوقوف على صخرة وما أن وجّهت نحوه الكاميرا حتى هرب الراعي ظناً منه أن الكاميرا هذه نوع من السلاح ويراد الفتك به، ثم إلتفت الراعي مصوباً بندقيته نحوهم، لقد تحدث عنها ويكرام في كتابه (مهد البشرية: ترجمة جرجيس فتح الله، الصفحة ١٤٩) على أن هذه القصة جرت معه ولكننا وجدنا أن ديكسون في محاضرة لة عام ١٩١٠ قدمها في الجمعية الجغرافية البريطانية ونشرت في المجلة الجغرافية البريطانية عام ١٩١٠ في الصفحة ٣٧٤. وكأن الموضوع أو القصة قد جرت مع ديكسون (نصاً). ترى هل كان ديكسون يرافق ويكرام وهذا ما لم نجد إشارة اليه، وربما المستقبل سيكشف ما اذا كان ديكسون قد إلتقى ويكرام في جزء من رحلته وإقامته في كردستان أم اذا كان أحدهما قد إقتبس=

يعرّف هيّ (١٩١٨-١٩٢٠) القبيلة انها مجتمع أو اتحاد مجتمعات يسبغ الحماية على الافراد المنتمين الى هذا المجتمع أو الاتحاد، كما وان القبيلة تحاول الحفاظ على الاعراف القديمة وعلى معايير متفق عليها في حياتهم ويذكر هيّ أن كل كردي تقريباً سواء كان يسكن المدينة أم القرية يعد نفسه قبلياً وان لم يكن منتمياً الى قبيلة ما (٨٧)، فالفرد على ما نفهمه من هيّ في كُردستان يرغب اظهار انتمائه للقبيلة واعرافها.

والحقيقة فان الأكراد غير القبليين على ما يذكر هيّ هم في العادة من مزارعي الاغوات في المدينة (٩٠)، لان بعض رؤساء العشائر يفضلون العيش في المدينة وهذا ما سنذكره من بعد. ومن هنا فان هذا الأغا يعمد الى الحفاظ على حقوق المزارعين على غرار رؤساء القبائل.

ان المزارعين يلجأون الى رئيس القبيلة أو الأغا لحماية حقوقهم لاسيما اذا شعروا بحراجة موقف ازاء السلطة فلزعيم القبيلة واجبات عديدة بازاء مزارعيه أو ابناء قبيلته واشدها خطراً عندما يصبح الناطق بلسانهم في جميع القضايا ذات الصلة بالحكومة.

ويضيف هيّ انه، أي زعيم القبيلة يعقب مصلحة ابن قبيلته في أي دعوى أو قضية جنائية سواء كان هذا على حق أم كان على باطل فان ثبت ارتكاب رجل ما جريمة قتل أو سرقة يتخذ الاجراء اللازم لاستعادة المسروق ودفع الدية لكنه لا يمكن ان يحمل الا بعسر على تسليم المجرم الى السلطات الرسمية (٩٠).

يحدثنا هيّ عن إنطباعاته ومشاهداته للقضاء القبلي أي (الفصل) أو (محكمة العشيرة) ويعرفها على انها عملية حسم القضايا على وفق الاعراف العشائرية، والفصل يشمل أي نزاع أو حادث بشكل عام، والقتل والثأر الدموي بشكل خاص، ويتم الحسم هذا على يد شخص واحد، هو اما رئيس القبيلة أو وجيه يتفق عليه الطرفين المعنيان أو قد يحال الى (المجلس) وهو مجتمع الزعماء العشائريين المؤلف من ثلاثة أو خمسة رجال عادة (٩٦).

ان محكمة كهذه تقوم عادة بالتحكيم فقط وذلك على الرغم من ان الحكومة قد تصر على ان تقوم باصدار قرار يكون ملزماً ويحسم ثأر الدم عادة يدفع (الدية) وكل حالة متصلة برجل أو امرأة لها سعرها الخاص كما ان اقسام الجسم لها قائمة اسعار خاصة بها.

ان هيّ يخبرنا عن المدة التي قضاها في كُردستان فيقول ان سعر الفلاح الكردي من الطبقة الوسطى محدد بـ(٩٠) جنيهاً واحدى نسوته بـ(٤٥) جنيهاً ورجله أو ذراعه بسعر (٢٠) جنيهاً تقريباً وان مثل هذا الدفع يتم في الغالب عيناً أي ببعض الماشية أو بحصان أو بمقدار

=القصة من الآخر إذ لم يعثر المؤلف على أي إشارة لديكسون الى ويكرام في محاضراته المنشورة في المذكورة، مثلما لم يُشر ويكرام الى ديكسون في كتابه.

من الحنطة تسلم الى الطرف المتضرر ومن الشائع جداً ان تعطى فتاة على سبيل الزواج تسديداً
ل(دية الدم).

ويعطينا هَيّ مثلاً طريفاً على الرغم من واقعيته (الاحتسابية)، إذ يذكر لو كان المطلوب
(٩٠) جنيهاً فقد يمكن تسديد الدين وهو : فتاة وثلاث بقرات وحمار. اما اذا كان الثأر
عظيماً فقد بنتيجته اناس عديدون حياتهم فانهم يعمدون الى حساب عددهم وعدد النسوة
والاطفال على الطرفين ثم يحتسبون اسعارهم وتحسم بعد احتساب الفروق، ويعمد بعض
المتخاصمين الى ختم الصلح بان يعطي كل واحد فتاة على سبيل الزواج للأخر (٩٧).

وعلى ما يبدو من ملاحظات هَيّ ان الفصل يجري في العادة بين الطبقتين الوسطى والدنيا
إذ يقوم رؤساء العشائر بعملية الفصل اما اذا كانت المخاصمة بين رؤساء العشائر فعندها قد
يتم الصلح بواسطة الحكومة وان كان مثل هذا الصلح مهدداً دوماً بالإنتهيار وأحياناً لأسباب
تافهة.

لقد عايش هَيّ عدداً من العشائر في منطقة أربيل على خلاف ريج وسون وإدموندز فنجده
يتحدث عن عشائر البارزاني والذريبي والزيباريين. يتحدث هَيّ عن البارزانيين فيصف الشيخ
أحمد البارزاني (آنذاك*) شاب في العشرين من عمره وهو من اسرة روحانية وكان لها سلطان
دنيوي ايضاً، ثم يذكر ان قدسية ابناء هذه الاسرة منحتمهم نفوذاً بحيث اصبحوا قادرين على
النهى والامر وحتى في الديار المجاورة ويصفهم ايضاً بانهم كانوا في الغالب شوكة في جنب
الأتراك وعمدوا الى تعبئة اكراد أربيل وراوندوز ومهاجمتهم وقد سبق الشيخ احمد، الشيخ
عبد السلام في رئاسة البارزانيين الا انه اعدم في الموصل في ٣ كانون الأول ١٩١٤ (٢٢٢).

ويذكر هَيّ ان البارزانيين والزيباريين ومن يجاورهم عرفوا بالضراوة بين الأكراد وفي تقويم
هَيّ للعشائر الكردية وهذا تقويم خاص به وجد من خلال زيارته الثانية لهم لا الأولى، لان
الزيارة الأولى احدثت إنطباعاً سلبياً لدى هَيّ ازاء عشيرة الذريبي ولا ندري لماذا، اما في
زيارته الثانية فقد احبهم وشغف بهم لا بل عددهم في مذكراته افضل الأكراد في بلاد ما بين
النهرين طرا وانهم أكثر رجولة من القبائل القاطنة من الزاب الاصغر جنوباً وافضل تعقلاً من
سكنة التلال ذوي النزعة البدوية وأحد ذكاء (١٤٥).

يصف هَيّ بأسلوب عذب كيف تحلق حوله شيوخ قرية كول تبه وهي من قرى الذريبي وقد
استقبله مختار القرية (محمود يابا) الذي لا صلة له باحد من رؤساء الذريبي (١٤٤).

لقد اخضع هَيّ الى امتحان كما يذكر إذ انهالوا عليه بصنوف من الاستئلة بواسطة احد

* ١٩١٨-١٩٢٠.

الاشخاص من كان يتكلم الفارسية.

لم قدم البريطانيون؟ وكيف سيحكمون؟ هل سيقومون بسحق الطغاة الظالمين من الرؤساء والمختارين؟ وما مقدار الضرائب التي سيقومون بجبايتها؟ وما هي التحسينات الزراعية التي سيقومون بادخالها؟ وهل سيمدون السكك الحديدية؟... الخ. هذه نماذج من الاسئلة التي سألها الشيوخ المحيطون الفرحون بضيفهم هي (١٤٥).

يذكر لنا هيّ الوضع النفسي لرؤساء الدزبي ازاء الشيخ محمود والمدة التي حكم فيها واصبح (حكمدار السليمانية)، فعلى الرغم من ان أربيل مدينة كردية لكنها لم تكن ضمن ولاية الشيخ محمود ونتيجة لذلك لم يتبوا رؤساء قبيلة (دزه ي) على غرار ما تبوا جيرانهم (خوشناو) من مناصب رسمية رابحة، وما كانوا يمن يشغف به (حكمدار السليمانية) حباً، وفي الحق والحديث مازال مستر هيّ - كانوا ينظرون اليه نظرة الزرية، لكنهم لم يتحملوا، بصمت، رؤية اناس يعدونهم اقل منهم اهمية ويتقاضون معاشات كبيرة ويتمتعون بالمكانة والتبجيل، ان هيّ يحلل موقف الدزبي انهم بقوا ثابتين صاميتين أملين بان يعود ولاؤهم عليهم بما يحسن حالهم ولكن الامل خاب (١٩٨) ونعتقد ان هيّ يقصد من عباراته هذه ان الدزبي الذين لم يثيروا المشاكل للبريطانيين كانوا يأملون ان يأخذ المسؤولون البريطانيون هذا الموقف بنظر الاعتبار الا ان شيئاً من هذا لم يحدث على ما يبدو.

الزعامة القبلية

لاشك ان المجتمعات التي لم تعند الديمقراطية في مناحي حياتها الاسرية والاجتماعية تفشل في خلق قيادة ديمقراطية، وبعبارة أخرى فان القائد ذا النزعة الديمقراطية يفشل في مهمته القيادية في نمط المجتمعات التي ذكرناها، وغالباً تفسر ديمقراطيته ضعفاً أو عجزاً.

من هنا نقول ان معايير الزعامة لا بد وان تختلف بدورها تبعاً للنظام الاجتماعي ومن الخطأ تعميم معايير جاهزة وكأنها وصفة صالحة لكل المجتمعات الإنسانية أو الشرائح المتعددة في مجتمع واحد، ولاشك فان القبيلة هي نظام اجتماعي داخل مجتمع أكبر وهذا النظام الاجتماعي له قيادته والقبيلة تنتظر من زعيمها ان يحقق لها أهدافها المتفق عليها، المتوارثة منها والمكتسبة، التقليدية منها والمستجدة.

يذكر فيدلر ان المقصود بمعايير الزعامة هي تلك الصفات التي تميز الزعيم عن غيره، وان هذه المسألة كما يعرضها فيدلر اخذت الكثير من اهتمام المتخصصين في علم النفس الاجتماعي (١٩٧).

ويذكر كيب، ان كثيراً من الابحاث المعنية بالتعرف على مواصفات الشخصية لدى العديد من الشخصيات القيادية، وعلى مستويات مختلفة، لم تسفر -في الحقيقة- عن نتائج واضحة أو محددة بحيث يمكن خلق نموذج قيادي لجعل مكونات هذا النموذج خصائص بعينها دون غيرها (٨٧٧).

لكن الذي استطاع ان يتوصل اليه علم النفس الإجتماعي هو ان المواصفات بدورها تتصف بانها متغيرة غير ثابتة، فضلاً عن انها قابلة للتعديل نحو الافضل، أي انجاح مهمة القيادي، مثلما هي قابلة للانحدار نحو الاسوأ أي افشال مهمة القيادي، وكل هذا له علاقة صميمية بالواقع المعيشي للجماعة وخصائصها النفسية والاجتماعية*، والتي تؤثر سلبياً أو ايجابياً في تكوين المواقف أو الإتجاهات (Attitudes) ازاء الزعيم، وهي عوامل عديدة، متشابكة، متفاعلة، دقيقة، لا يشترط ان تبدو مباشرة، تعمل على خلق الولاءات سواء العفوية أم الواعية لاسيما في النظم القبلية والبدائية أي اللادستورية، وان كان العرف القبلي هو دستور مائل في ضمير القبيلة ودواخل ثقافتها. واقرب الناس في التأثير على الشخصية القيادية هي الجماعة التي تسمى في المصطلحات السوسولوجية بالجماعة المرجعية أو Reference Group، وهؤلاء هم اما موضع ثقة أو حب أو إحترام رئيس القبيلة أو السمات الثلاث معاً وأحياناً لا بل كثيراً تفعل (القرابة) دورها في التأثير على شخصية زعيم القبيلة لانه يتوخى منهم الإخلاص، وان كان الواقع يعطينا امثلة ليست بالقليلة عن الخيانات الاسرية لا على مستوى القبائل بل على مستوى القيادات السياسية أو الدولية والتاريخ حافل بامثلة من هذا الضرب. ان لزعامة القبيلة عوامل ترتكز عليها، أي ان هذا (البارون الاقطاعي) الكُردي الذي وصفه إدموندز والذي هو ال(آغا) في كُردستان والذي يمكن ان يخلف زعامته لابنه من بعده كما ذكرنا، لم يرثها الا من خلال عوامل عدة، منها التناحر العشائري والاسري بين القبيلة الى ان تستطيع احدى فروع القبيلة السيطرة على الفروع الأخرى أو على الاسر الأخرى ومن هنا نجد دعوات كامنة للزعامة لدى بعض شخصيات هذا الفرع أو ذاك الفخذ أو ذاك القريب من ذات القبيلة لذا فان السيطرة والغلبة داخل القبيلة هي احدى العوامل الرئيسية التي تجعل من احد فروع القبيلة الفرع المنجب للرئيس العام أو الآغا أو كما سماه إدموندز بـ(البارون).

اما العامل الثاني فهو عامل تعريزي، فلأجل ان يحافظ الآغا على مركزه لا بد من اعتماده قوة هي أكبر بكثير من قوة القبيلة وهنا نقصد الدولة، فيبدأ الآغا بالتزلف للسلطة الحاكمة أو باسداء خدمات لها تبدأ من جباية الضرائب وتنتهي بتشكيل القوات النظامية و(بايثار)! لإمتلاك الخطوة والمال، فهذان العنصران هما الأساس في ديمومة الزعامة أي

* The Socio-Economic and psychological traits of the group

الوجاهه والبذخ.

ولقد مرت كُردستان في كل اصقاعها وعبر تاريخ طويل يمثل هذه الحالات فهذا خالفين يتحدث في كتابه الصراع على كُردستان خلال القرن التاسع عشر فيذكر ان الدوائر الحاكمة التركية والإيرانية كانت تعتمد ايام الحرب على إستخدام الأكراد وعلى شكل الفرسان غير النظاميين (١٥).

وقد لا تكون الحرب التي ذكرها خالفين توأ حرباً بين دولة وأخرى بل قد تكون حرباً بين الدولة والكُرد انفسهم أو قبيلة شقت (عصا الطاعة) على الدولة فيتألب رؤساء القبائل متسابقين لتأديب هذه العشيرة المشاغبة!

ونعتقد ومن وجهة نظر نفسية ان صراعاً ما يجري في دخيلة الكثير من رؤساء القبائل في مثل هذه المواقف، الصراع بين الإعجاب بالقبيلة المتمردة والتمني لو كانوا في بسالتهم من جهة والرغبة العارمة في الحفاظ على المصالح المادية والمعنوية المتأتية من الدولة من جهة ثانية.

لقد سمع مؤلف هذا الكتاب عن والده عن جده الذي قتل غيلة رحمهما الله انه التقى اثنين من رؤساء العشائر الكُردية في كُردستان تركيا أي في المنطقة التي تحاذي المراعي الصيفية الجبلية لعشيرة مؤلف هذا الكتاب، وكانا في صفوف القوات غير النظامية التي حاربت الشيخ سعيد البيراني في ثورته ضد الحكومة التركية ١٩٢٥، وسألهما كيف يشعران وهما يقودان هذه القوات (العشائر) غير النظامية ضد هذا الشيخ الروحي والقومي فأجاب احدهما انه يشعر شعور من يقطع يمناه ببسراه واجاب الآخر انه لا يستطيع النوم ليلاً من العقاب واللوم الداخلي (الندم).

ومن عوامل ديمومة الزعامة القبلية هي (شخصية) الآغا نفسه وان للکرد معاييرهم الدقيقة في قياس شخصية الآغا، حديثه، طريقة جلوسه، قوة تأثيره، عدالته، صبره، شجاعته، وكثير من الصفات العديدة الأخرى مما يجعل رئيس العشيرة اذا اتفقت فيه جملة من هذه المواصفات رئيساً واسع الصيت بين العشائر الأخرى ومحكاً للمقارنة.

اما عن علاقة الفرد القبلي بزعيمة لاسيما في موضوع حماية الحقوق الشخصية وهو أخطر موضوع في الحياة القبلية حيث لا قانون، فان الرجل القبلي كان أكثر ميلاً للاحتكام أو الالتجاء الى رئيس القبيلة ويفضله على المؤسسات الحكومية أو الاجراءات الرسمية وذلك لسببين، اولهما شعوره بالانتماء الى رئيس القبيلة أكبر من شعوره بالانتماء الى الحكومة التي هي من الوجهة القومية لاينتمي اليها فإمّا تركية واما فارسية، وحتى في عهد الامارات

الكردية فان رئيس العشيرة داخل الإمارة اقرب الى شخصية الفرد الكردي من حكومة الامير،
وثانيهما، ان رئيس العشيرة يحسم الامور بشكل اسرع من الدولة وروتينها الثقيل، وبعد
المدينة (مركز الحكومة) عن القبيلة زد على ذلك ان القدرات التنفيذية لرئيس العشيرة امضى
واشد فاعلية وحاسمة.

وتأكيداً لما ذهبنا اليه نورد رأي ياسيل نيكيتين الذي يرى في زعيم القبيلة الكردية
الضمانة العليا للعدل (١٣٠).

بحدثنا ريج عن مدى تعلق الكرد برؤسائهم، فيصفه بالتعلق الشديد جداً، حتى اذا اصاب
رئيس العشيرة نفي أو اقصاء أو ابعاد وجد رجالاً من القبيلة يختارون الغربة مع اسيادهم
وتجدهم يعملون في حالة من نكران الذات يكافحون شظف العيش وكل أنواع المحن والعوز
دون ان ينبسوا ببنت شفة ويعطينا مثلاً من مشاهداته في بغداد لبعض من الكرد فيصفهم
سادة في اسمال بالية يملك كل منهم في بلاده جواداً مرخناً وخادماً ولكنهم يكتسبون المال من
الحمالة والسقاية ليقدموه الى اسيادهم ليعينوهم على العيش في بغداد (٦١).

ومشهد آخر يخبرنا به ريج عن الرؤساء والزعماء القبليين فعند موت شقيق عبد الرحمن
باشا في بغداد كان احد الأكراد من اتباعه واقفاً في شرفة الدار أو على سطحه وفي الدقيقة
التي اسلم فيها سيده النفس الأخير صاح قائلاً (ماذا أمات البك. اذن يجب ان لا اعيش لحظة
واحدة من بعده) ثم قذف بنفسه من اعلى الدار ومات مهشماً.

الحقيقة ان هذا المثل الذي يعطينا اياه ريج يذكرنا بعدد من الامثلة الشبيهة التي حتى
وجدت لنفسها طريقاً في الحياة اللاعشائرية ولكنها كانت امتداداً لها حتى في الجيش،
فعندما اغتيل الفريق بكر صدقي (وكان كردياً) في الموصل وهو في طريقه الى تركيا وبكر
صدقي كان رئيس اركان الجيش العراقي وقائد اول انقلاب عسكري في العراق، وكان من
الناحية العملية الشخصية الأولى في العراق ولما اغتيل كان مرافقه كردياً (عريف في الجيش)
ولم يكن موجوداً لحظة اغتياله فلم يتحمل ان يرى بكر صدقي قد فارق الحياة فانتحر حيث
اطلق الرصاص على نفسه ولكنه عولج في المستشفى العسكري في الموصل واسعف وعندما
عاد الى رشده بعد ايام في المستشفى وهو يتماثل للشفاء عاد فانتحر ثانية وفي هذه المرة
قضى نحبه. اننا نعتقد ان سلوك هذا العريف كان سلوكاً عشائرياً في جذوره بالرغم من ان
العلاقة بينه وبين أمره علاقة عسكرية ويودنا ان نذكر هنا ان من يقدم على الانتحار وينقذ
يشعر بسعادة النجاة (غريزياً) فاي دافع هذا الذي جعل العريف يكرر الانتحار واي اصرار
شدت بين الرئيس والمرؤوس؟

ان احدي عوامل التمسك بزعيم القبيلة أو رئيس العشيرة هي صلة الدم الموجودة بينه وبين

رجالها وهذا ما بدا لريج وهو يذكر لنا من خلال محاورة جرت بين امان الله وخان والي (مدينة سنة) وعبد الرحمن باشا السليمانية فقد سأل الأول عن السبب الذي يمنع خدمه من مرافقته الى منفاه بالرغم من معاملته اياهم معاملة حسنة وعدم اظهار تعلقهم به في اوقات المحن والحرمان كما اظهر ذلك الأكراد البابانيون حيال امرائهم على الدوام وكان جواب عبد الرحمن باشا الكبير حسب إعتقاد ريج جواباً فذاً إذ قال لآمان الله خان انك لست رئيس عشيرة وليس رجالك رجال عشيرتك وقد تلبسهم وتطعمهم وتغنيهم الا انهم ليسوا ابناء عمومك بل هم خدم ليس الا (٦١).

ويتحدث ريج في موقع آخر من ذكرياته عن صلاحيات رئيس العشيرة أو مدى سلطته في العشيرة فقد صادف ان التقى به كيخسرو بك رئيس عشيرة الجاف وقد زاره من بعد في مضاربه.

لقد وجه ريج اسئلة تتعلق بالحكم بين العشائر وتنظيماتها فقبل له ان كيخسرو بك وهو رئيس عشيرة الجاف بكاملها له ان يقتل أو يعاقب وفق رغبته وليس لديه مجلس استشاري كما انه ليس من الضروري ان يستشير أي فرد من شيوخ العشيرة واذا طلب منه الباشا مقداراً من المال أو جماعة من المحاربين استدعى رؤساء الافخاذ وقسم عليهم الطلب بالتساوي (٨٥).

ويبدو ان المصدر الذي زود ريج بهذه المعلومة لم يكن دقيقاً فهناك استدراك في الهامش يوضح ان رئيس الجاف لا يستطيع القتل والتنكيل دون استشارة شيوخ العشيرة.

ومن خلال صداقة المؤلف وتعرفه على الاخوة من الاسرة المتزعمة لهذه القبيلة يعرف قبل شروعه بوضع هذا الكتاب ان هذه الاسرة في كثير من القرارات التي تخص العشيرة يكون امرهم شورى بينهم.

وكذلك لا ينسى ريج ان يذكرنا بان أمير بابان كان يتحدث بحماس عن اصل عشيرته فقد عرف نفسه لريج على انه سليل عائلة عريقة وعشيرة كريمة وان اسم عشيرته في الاصل هو (كرمانج) (٥٧). والحقيقة فان هناك أكثر من احتمال لإستخدام أمير بابان هذه الكلمة (كرمانج) لان (كرمانج) من جهة تعني الفلاحين أو القرويين من الكُرد أي عامة الشعب خارج المدينة ومن جهة أخرى فان (الكرمانج) كلمة اعم من طبقة إجتماعية ذلك ان اكراد الشمال وهم الكثيرة يستخدمون مفردة الكرمانجية للتدليل على اللغة الكُردية فلغة الكُرد هي الكرمانجية والكثير من الناس الى يومنا هذا في كُردستان تركيا واصقاع أخرى يستخدمون كلمة كرمانيج مرادفة لكلمة كرد فاذا كانت الكرمانجية تعني لغة الكُرد فيماذا يتحدث الكُرد من غير الكرمانج؟ ان (الكُردمانج) هم الكُرد بلا ريب.

ان أمير بابان يشرح لمستتر ريج انه من عائلة حاكمة لهؤلاء الكرمانج الذين هم اصل عشيرته التي يؤلف اعضاؤها رؤساء العشيرة الذين يتولون الرئاسة بالوراثة، ولنا رأي في هذا قد ننشره من بعد.

ومما حاول رؤساء العشائر الاتصاف به عبر التاريخ ما اشار اليه إدmondز الى ان الكثير من الاسر الحاكمة درجت في القبائل الكردية على ادعاء انتسابها الى السلالة النبوية وقد ذكر هذا سابقاً (١٣٤).

والحقيقة هذا ما نجد في كثير من رؤساء العشائر الكردية أي الجمع بين الصفتين الروحية والدينية، وهناك ميل واضح لعدد ليس بالقليل من رؤساء العشائر الكردية للانتساب أو ادعاء النسب الى السلالة النبوية ففي هذا الادعاء دعم لمراكزهم وتمكينهم أكثر في الحكم والتمتع بالسلطة والصلاحيات الواسعة.

لقد لاحظ لايارد (في منتصف القرن التاسع عشر) ان حجم الخيمة لرئيس العشيرة عادة يكون كبيراً وفيها من الفرش والسجاد ومقسمة من الداخل لا بل ان حجم الخيمة يخضع للمكانة الاجتماعية للفرد في العشيرة فكلما كان الفرد متمتعاً بمنزلة كبيرة في العشيرة كلما كانت خيمته أكبر (٣١٠).

ونعتقد ان ما ذهب اليه لايارد من ملاحظته يعود الى ان حجم الخيمة يتسع بسبب المضيف أو الديوانخانه، فما من رئيس عشيرة إلا وله مضيف يستضيف به ضيوفه وكذلك يجالس فيه ابنا عشيرته زد على ذلك ان كثيراً من رؤساء العشائر أو الموسرين في العشيرة يتزوج أكثر من زوجة وهذا ما يجعل الخيمة متناسبة طردياً مع الموقع الاجتماعي للفرد في العشيرة، وغالباً ما تكون المكانة الاجتماعية مرتبطة بما يملك الفرد أو رئيس العشيرة من اتباع أو ممتلكات وأكثر الممتلكات شيوعاً في العشائر هي الاغنام والماشية لاسيما في القبائل الرحل أو النصف مرتحلة والحقيقة ان حجم الخيمة يقاس بعدد اعمدها واوسع خيمة مرت بدراستنا هذه هي خيمة ابراهيم باشا الملي، والتي كانت تقوم على ١٠٠ عمود وقد ذكرنا ذلك في فصل الشخصيات الكردية.

لقد اشار ميلنكن إلى زعامة العشيرة وقد اتخذ من أحمد آغا، والذي يكنى بأحمي، رئيس عشيرة موكور القريبة من مدينة وان مثلاً على قدرة رئيس العشيرة في ادارة شؤون العشيرة وذكائه وسيطرته على الرؤساء الآخرين وقدرته على جذب الباشوات وتعينه لشخص في وان يمدد بالمعلومات التي تخدمه وتخدم منافعهم ويسميهم ميلنكن أي هذا الشخص الممثل للأغا بالوزير. حتى اصبح هذا الأغا قادراً على ان يهاجم أو يحطم أو يسلب أي عشيرة يجعل منها ضحية (٢٤٠). والمؤسف ان هذا الامر قد فهم بشكل خاطئ لدى ترجمة الدكتور شاكر

خصباك للموضوع إذ قد ذكر في كتابه الأكراد، عن ميلنكن مترجماً ذات الصفحة (٢٤٠). (ان الرئيس العشائري الكردي هو ديكتاتور مطلق ولا حد لسلطته بوسعه ان يصادر ممتلكات أي فرد عشائري وان يأمر بقتله متى وجد ذلك مناسباً) جاء هذا النص في كتاب الدكتور خصباك في صفحة ٣٨١ على انه مقتبس من ميلنكن الصفحة (٢٤٠) وقد اخذ الوائلي في اطروحته (اكراد العراق ١٨٥١-١٩٤١) هذا المقتبس كما هو ولم يشر انه قد اخذ من كتاب الدكتور خصباك فوقع في نفس الخطأ. وميلنكن لم يقل هذا بل قال الذي اشرنا اليه اعلاه حول أحمد آغا. الحقيقة وجدنا في المصدرين المشار اليهما عدداً من المفارقات في الترجمة لا تقلل باي شكل من الاشكال من القيمة الريادية لكتاب الدكتور خصباك مثلما لا تقلل من شأن اطروحة الدكتور عبد ربه الوائلي التي اعدّها في جامعة القاهرة ١٩٨٧. أن ما ذهب اليه ميلنكن يتفق وحديث باشا السليمانية في اجابته على سؤال امان الله خان والي مدينة سنة، الذي اشرنا اليه.

اما خالفين، وباعتداده كاتباً سياسياً فانه يتناول موضوع رئيس العشيرة الكردية من حيث علاقته بالجهات الخارجية ويقصد إيران وتركيا تحديداً، وبلاشك فان ما يذهب اليه خالفين لا ينسحب على كل رؤساء العشائر ولكن على ما يبدو انه قد لاحظ بل درس تأثير الاوساط السائدة في إيران وتركيا وتحريضها من خلال التواطؤ مع سادة الأكراد والاطاعين ورؤساء القبائل لدفع الأكراد على اعمال السلب والغزو من اجل الاثراء السريع ثم سوق الأكراد الى المحاكم بعد ان تتقاسم الاموال مع المنتفعين، وخالفين يرى ان الحالة هذه اصبحت (مهنة).

ان هذه (الاطاع السائدة) التي يذكرها خالفين يقصد بها على ما يبدو الجهات المنتفذة في تركيا وإيران أو الجهات التي تستطيع ان تتفاعل مع الجهات الرسمية لتمرير مآربها ومصالحها (٢٣).

وتشير معظم المصادر المعنية الى موقع رئيس العشيرة، برئاسة القبيلة رئاسة وراثية حيث يقوم كبار رجال العشيرة باختيار الخلف وغالباً يكون الخلف من نفس عائلة الفقيد، وعلى الأكثر نجله الأكبر، وهذا ليس في كردستان حسب بل هو تقليد من تقاليد النظم القبلية، أي اننا نرى ان هذا هو الاسلوب السائد في اختيار رئيس العشيرة في بلاد الشرق لا بل النظم الملكية عبر التاريخ وحالياً ما هي الا امتداد لمثل هذا الاسلوب.

ان التطاحن والتنافس على الزعامة في القبيلة مسألة معروفة في القبائل فقد يؤدي وفاة رئيس القبيلة الى حدوث ازمة لسبب أو آخر وقد تسفر الازمة عن قتلى أو جرحى ولكن لدينا امثلة كثيرة ايضاً في المجتمع القبلي الكردي لا يؤدي فيها التنافس على الزعامة الى سفك دماء أو ازهاق ارواح.

لقد لاحظ إدmondز حالة يراها جديرة بالانتباه عند عشيرة الميرادوكلي، فبالرغم من التنافس الشديد على الزعامة لم يؤد هذا التنافس الى سفك الاخ دم اخيه وهو يفهم بامتلاكهم روحاً رياضية سائدة، فمن وجد نفسه خاسراً في المكيدة أو مغلوباً في أي موضوع خلاف استسلم للقدر حالاً، ثم بدأ لعبة جديدة ليبنى عليها املاً جديداً (٢٠٠).

والحقيقة ان هذه الميزة التي استرعت إنتباه إدmondز هي ليست بالامر الجديد، فلدينا امثلة سابقة بأكثر من مئة عام على ملاحظة إدmondز أي في مذكرات ريج عام ١٨٢٠ لدى زيارته لإمارة بابان فقد وجد ان عثمان بك شقيق محمود باشا أمير بابان بإمكانه ان يستولي على الحكم وينتزع من شقيقه، لقد رفض عثمان بك كل الاغراءات وكل التسهيلات المقدمة اليه من قبل الدولة العثمانية عبر باشا بغداد للاطاحة باخيه وتسلم الحكم، في حين كان عم الأمير متورطاً بأكثر من مؤامرة للاطاحة بابن اخيه واستلام الحكم وحتى احد اشقاء الأمير تورط مرة في التآمر مع باشا بغداد للاطاحة باخيه ولكن ما ان تحسنت العلاقات بين باشا السليمانية وباشا بغداد حتى اعاد باشا بغداد الشقيق المتآمر الى اخيه يجر اذيال الخيبة والحجل مثلما كان قد عاد عم الأمير لكن أمير بابان كان ارفع من ان ينتقم من عمه أو من اخيه.

وحسب تحليلنا يمكن ان تعزى أسباب المنافسة على الزعامة في القبيلة في كردستان الى العوامل الآتية:

- ١- الزعامة القبلية تعني الثراء والإمتلاك الاوسع لوسائل الانتاج في اقتصاديات القبيلة.
- ٢- المنافع المعنوية ومنها اشباع الحاجة الى السيطرة والتي تتفاعل مع الفقرة الأولى في انجاب الشخصية الارستقراطية (الوجاهة).
- ٣- تظهر بعض الشخصيات التي تتزعم القبيلة بالوراثة ولكنها لا تثبت جدارة في المقاييس القبلية أو في دبلوماسياتها مع القبائل الأخرى أو في مناوراتها مع الدولة فتسبب الويلات للقبيلة وبذلك ينشأ المنافس أو المنافسين الذين يجدون في انفسهم بدائل افضل معززة بتأييد نسبي ان لم يكن مطلقاً أحياناً.
- ٤- المنافسة الوراثية غير المحسومة في بعض القبائل بين ابن زعيم القبيلة المتوفى وشقيق زعيم القبيلة، لاسيما في حالات الفارق العمري بين الابن والشقيق.
- ٥- ابناء رئيس القبيلة وطبيعة أو نوع المصاهرة بينه وبين القبائل الأخرى، فقد يكون لرئيس القبيلة المتوفى ابناء من أكثر من زوجة وأحياناً من خارج قبيلته.
- ٦- حب التزعم يعد من الدوافع الاصيلية (غريزي) في علم النفس ويمكن ان نلاحظه في المجتمع الحيواني ايضاً، فلا بد من منافسة ولا بد من زعيم في كثير من الفصائل الحيوانية

وهناك قاعدة بايونفسية، ان ما نجده من سلوك لدى الإنسان يمارسه الحيوان، يعد دافع ذلك السلوك دافعاً اصيلاً ضمن تصنيف الدوافع أو محركات السلوك، وعلى كل يبقى المنافسون يحاولون، وعلى طريقة (الإمارة ولو على الحجارة).

ويحدثنا برانت عن سلطة (البك) وهو لقب تركي كان يطلق على بعض رؤساء العشائر وقسم من هؤلاء البيكات كان يمنحون الباشوية بامر سلطاني*.

ان برانت شاهد اشكالا من الخلافات والتحالفات بين هؤلاء (البكات) كما ويحدثنا عن معارك تجري بين رجال هؤلاء البكات تحدث فيها عمليات سلب ونهب وارقة دماء.

ومن وجهة نظرنا هي مسألة صراعات على بسط النفوذ الاوسع من جهة وتأليب تركي بين العشائر للحفاظ على نفوذ الحكومة من جهة أخرى فان التعايش الآمن بين القبائل الكردية لابد وان يكون سبيلاً للالتفات الى الجانب القومي والخروج من دائرة القبيلة الضيقة الى دائرة اوسع بكثير، وهي مفهوم الأمة قومياً وما يربط بين الأمة الواحدة من وشائج. هذا الشعور الذي هو الكفيل لتشخيص العدو الحقيقي ثم التصدي الحقيقي له، ان التنافر القبلي كان ولم يزل يعمل في صالح الدول المقتسمة لكردستان.

لقد افاض باسيل نيكيتين الحديث عن رئيس القبيلة وموقعه بشكل أكثر مما سبق ان عرضناه، ان باسيل نيكيتين يضعنا امام صفات الزعيم في القبيلة ومهامه بشكل يتسم بالتفصيل ويزيد على ما ذكره الآخرون في وراثة زعامة أو رئاسة القبيلة، طريقة الانتخاب، وطريقة فرض النفس بالقوة لكنه يعود ليذكر ان الوراثة هي الاسلوب الأكثر شيوعاً في تسمية رئيس العشيرة أو زعيم القبيلة، لا بل الوراثة لها حكم التقاليد والعادة التي تلي على افراد القبيلة احترام زعمائهم الوارثين (١٢٣).

اما عن سلطة الزعيم أو صلاحياته القضائية فان باسيل نيكيتين يعترف انه يجهد حقيقة صلاحيات الزعيم القضائية في قبيلته، لكنه يعطينا امثلة عن الاحكام التي كان يأمر بها رئيس القبيلة على الاشخاص المدانين بجرائم (١٢٩).

ومن التدقيق في الامثلة التي اوردها نيكيتين وغيره، ومن خلال اطلاع المؤلف وباعتداده كدياً، فان السلطة القضائية على ما يبدو غير مستقرة، بعبارة أخرى متغيرة وتؤثر في مداها عوامل ومتغيرات مختلفة منها شخصية رئيس العشيرة فهناك بلاشك تباين بين رؤساء العشائر أو زعماء القبائل في نوعيات شخصياتهم وكذلك مدى التفاف الدوائر المباشرة من كبار العشيرة حوله، وهل ان رئيس العشيرة يتمتع بسلطة دينية بالاضافة الى سلطته

* إن لقب الباشوية كان يُمنح من قبل السلطان، وعندما يصبح أحدهم باشا فإن أبناء الباشا يحملون لقب بك.